بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إنها لمحاولةٌ صعبة . . مُحاوَلةُ تلخيص حياة « الإمام » وسيرته بين « دَفَّتَيْ كتاب » . ! !

والحق أقول لكم : لقد حاذَرْتُ هذه المحاولة من قبل . وهربتُ منها .

فبعد أن قدمت كتابَيَّ : « وجاء أبو بكر » . . و « بين يدى عمر » . . استقبلت سيرة « الإمام عَلِيٍّ » لأحظى بشرف تصويرها وتقديمها ، بَيْدَ أنى لم أكد أفعل حتى غَشِيَنى تهيُّب شديد لم يَخفَ علىّ سببه .

فحياة « الإمام » لا سيما فى مرحلتها الأخيرة ، التى بدأت باستخلافه وانتهت باستشهاده ، لم تكن حياة عادية .

إنها حياة أخرى ، تتطلب مواجهةُ تاريخها المكتوب مُستوى غير عادىّ من يقظة الذهن ، وَجلَد الأعصاب .

لقد كانت حياة تتفجر عظمة ، وجلالاً ، وإعجازاً . . ولكنها - أيضًا - تَموج بالأسى والهوى موجاً . . ! !

حياةٌ الْتقى فيها النصر والهزيمة . . المقدرة والورع . . البأساء والضراء . . البطولة والألم . . العظمة والمأساة . . لقاء بلغ فى جيشانه واحتدامه ذروة خطر فريد يجعل مواجهته - ولو فى صورة كلام مسطور - أمراً صعباً ومهيباً . .

من أجل ذلك تهيبت الموضوع كله .

كما تهيبت رؤية « البطل » فى أيامه العصيبة حيث المؤامرات والفتن والحروب تقعد له بكل مرْصَد . . ! !

كما تهيبت الصراع الرهيب يَنْشِب بين المسلمين ، ويُقدِّم بعضهم بعضاً حِنطةً لرحاه . . ! !

* * *

هنالك غَيَّر « زورق » اتجاهه ، واستقبلت نفراً كبيراً من أصحاب رسول الله ، حيث قدمتهم فى كتابى : « رجال حول الرسول » .

وخلال لقائى المتساوِق مع أولئك الأصحاب الكبار ، أخذت أعتاد شيئاً فشيئاً مواجهة القضية التى أجفلتُ بالأمس من مواجهتها ، وانْثال على روعى كثير من الطمأنينة والفهم ، حيث واتتنى القدرة على تلبية أشواق إلى رحاب الإمام . .

* * *

بيد أنى لم أكد أفعل حتى فاجأنى إشكال جديد ، ذلك أنى بما أكتب من سير وتراجم . لا أُريد أن أقدم كتب تاريخ ذات نهج مدرسى ، إنما يعنينى رُوح التاريخ . .

أجل . . إننى لا أُؤرِّخ للوقائع . . وإنما أؤرخ للعظمة الإنسانية المسْتكنة فى الوقائع والأحداث . .

وطريقتى أن أصحب التاريخ فى كل تفاصيله بل ومتاهاتِه ، ثم أعود من رحلتى هذه ، لأصوغ رؤيتى التاريخية فى شىء أشبه باللوْحة يتألق عليها جوهر الشخصية ، وحظها المتفرد من التفوق والعظمة

وفى سيرة « الإمام على » تزدحم التفاصيل ، والوقائع ازدحاماً لا يؤْذن بانتهاء . . حتى لقد خشيتُ أن أزيغ عن نهجى فى زحمة تلك الأحداث الرهيبة والوقائع التى تملأ الزمان والمكان .

لكنى لم أكد أمضى على الطريق حتى صادفنى يُسرٌ عجيب ، جعلنى أهتف من أعماق روح شاكرة :

– ألا حيّا الله بركاتِ الإمام . ! !

وهكذا ، لا تجىء هذه العبارة : « فى رحاب الإمام » مُجرد عنوان لكتاب . .

إنما هى تعبير متواضع عن ذلك الذُّخر المفيض الذى يجده الميمِّمون وجوههم صَوْبَ « عَلىّ » – الحوارىِّ العظيم للرسول . . والابن البارِّ للإسلام . !

فَمِن عظمة نفسه ، ونُبل شمائله ، وإعجاز بيانه وبَلائه ، تَنداحُ رحاب ليس لها أبعاد ، تتلألأ عليها بطولات وتضحيات ، عظائم وأمجاد ، تكاد تحسبها – لولا صِدقُ التاريخ – أحلاماً وأساطير . ! !

* * *

ولكم وَددتُ لو يطول فى هذه المقدمة حديثى . . فما أجمل القول عندما يكون موضوعه رجل من طراز « عَلى » بيد أنه ليس من حقى ، وقد دعتنا مقاديرنا السعيدة للقاء الإمام على هذه الصفحات ، أن أُطيل وقفتكم على الباب . .

فلأفْسح لكم الطريق لِتفْضُوا إلى رحاب ما أثْراها ، وما أبرها من رحاب . . !

* * *

ويا أبا السِّبْطَيْن . .

يا أبا الحسَنَيْن . .

إذا كنا نُجاوز قَدرنا بهذا اللِّقاء ، فإن عظمة نفسك الراضية الزاكية تعطينا حق الرجاء ، فى أن تتقبلنا ضيوفاً على سيرتك الوضيئة الجليلة . .

وضيوفاً على رحابك المُفيئَة الجزيلة . .

صلَّى الله عليك . .

خالد

obeikandl.com